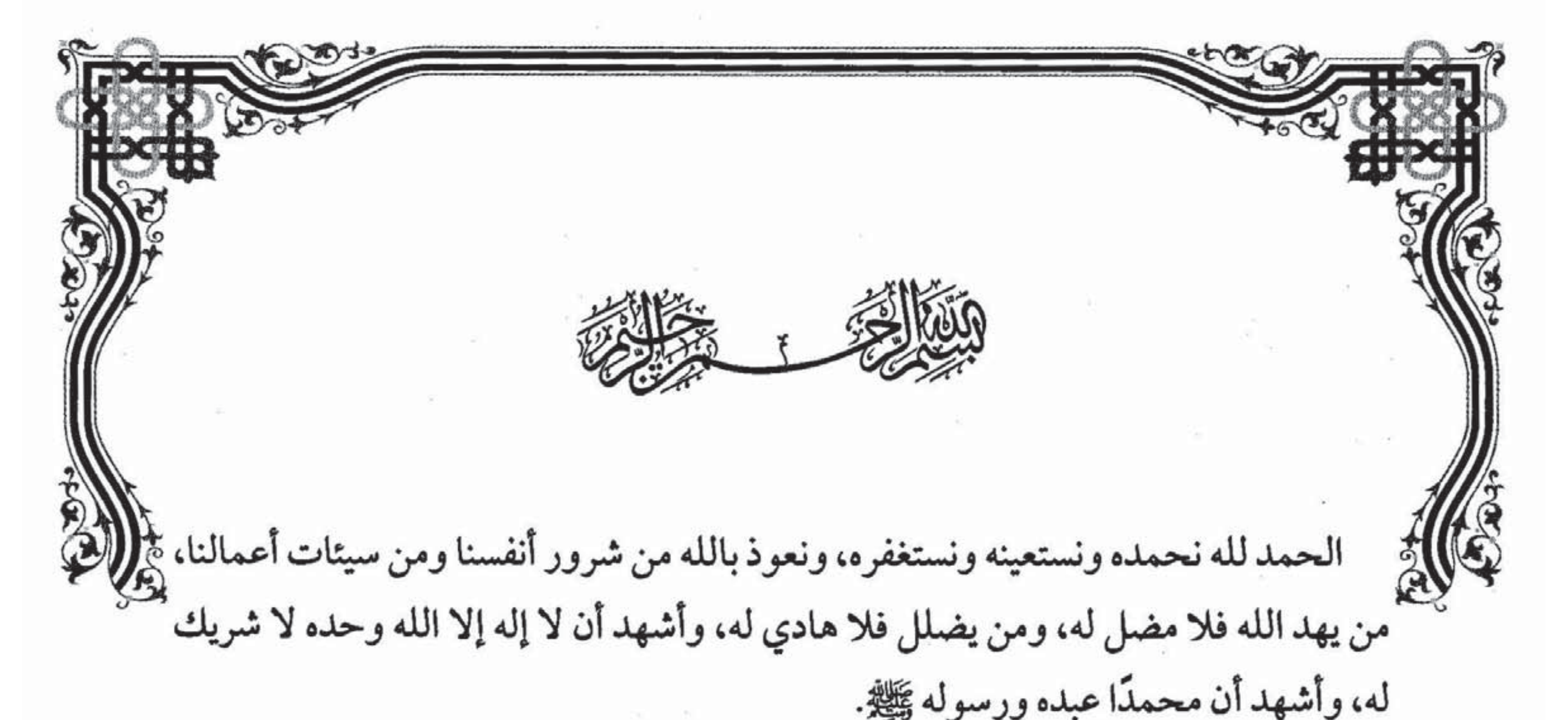
مجموع مؤلفات ابن سعدي (٦١)

رسالة

الدعوة إلى الدين الإسلامي

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

يطبع لأول مرة



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن الله تعالى أمر بالدعوة إلى دينه وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وأخبر أن طريق رسوله الدعوة والإرشاد إلى الصراط المستقيم، وأمر أفضل خلقه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأثنى على من هذا وصفه بعلو مرتبته وارتفاع درجته فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وأمر هذه الأمة أن يكون منهم طائفة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر(١)، وأخبر أنهم هم المفلحون؛ وذلك أن الله لا يفضل مرتبة ويعلي قدرها ويؤكد الأمر بها، ويخبر أنها طريق لنيل رضوانه، إلا لكثرة خيرها وحسن عائدتها وثمراتها وشدة الحاجة والضرورة إليها؛ وذلك لأن ثمراتها سعادة الدنيا والآخرة وسلوك طرق مرضاة الله والقيام بعبوديته والفوز بكرامته؛ فلذلك يجب ويتعين على كل مكلف أن يقوم بما يستطيعه من هذه

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

المرتبة بحسب حاله، ورحم الله من أعان على الإسلام بشطر كلمة، أو هَدَى ضالًّا، أو أعان سالكًا، أو رغَّب كسلان، أو حثَّ على خير، أو ثبَّط عن شر[1]؛ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧].

ولما كانت الدعوة إلى دين الله منتشرة الفروع وكثيرة الأنواع والأجناس، شاملة للدعوة إلى جميع المسائل الأصولية والفروعية، وقد تكون خاصة لشخص أو لطائفة أو قبيلة، أو لعموم الناس، وهي قد تكون ببيان الحق وذكر أدلته وبراهينه، وبِرَدِّ الباطل ببيان ما يدل على بطلانه وفساده؛ أحببت أن يكون موضوع هذه الرسالة الدعوة إلى الدين الإسلامي الذي هو دين جميع المرسلين، وأن تكون عامة لجميع الخلق؛ الداخلين فيه وغيرهم، وأن يكون ذلك على وجه الإشارة والتنبيه على حاله من المحاسن الداعية للعقلاء إلى تفضيله واختياره، بقطع النظر عن إقامة الأدلة على فساد ما يناقضه ورد الشبه التي توجه إلى القدح فيه؛ فإنها بحر لا ساحل له، وكل مبطل يوحي إليه الشيطان ما يستطيعه من الشبه الباطلة، فلو أشغل الإنسان نفسه بالتصدي لرد كل شبهة من هذا النوع لما أمكن ذلك، ولضاع المقصود، ولاشتغل بالوسيلة عن الغاية، بل إذا صور الدين الإسلامي بصورته الحقيقية وأقيمت البراهين على حسنه وتعليق السعادة الأبدية فيه، وأنه لا يحصل كمال ولا خير إلا به؛ كفى ذلك برد كل ما يخالفه ويناقضه، فإن المعلوم المقطوع به يعلم أن كل ما خالفه فهو باطل؛ لأن ما ناقض الحق فهو باطل، وهذا طريق لرد جميع الشبه على وجه الإجمال وإن لم يهتد الإنسان إلى تفصيلها.

من المعلوم عند كل أحد عرف سيرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أنه نشأ بين أمة أميين ليس لهم كتاب، ولا عندهم من آثار النبوة شيء، بل قد غلب عليهم الشرك وعبادة الأوثان، وفسدت أخلاقهم ومرجت حلومهم، ونقصت عقولهم الدينية، ولم يسافر لتلقي العلم من أهل الكتاب؛ مع أن أهل الكتاب في ذلك الوقت قد غيروا وبدلوا، ولم

(١) أي: حبس عنه، وشغل عنه.

يبق للدين الأصلي عندهم إلا رسوم لا تذكر، فابتعثه الله تعالى في تلك الظلمة العامة سراجًا منيرًا، وأنزل عليه كتابًا جامعًا لخير الدنيا والآخرة، حسن الألفاظ جميل المعاني متشابها في الحسن، مفصلًا لعلوم الأولين والآخرين، مخبرًا بما أخبر به من قبله، مصدقًا للمرسلين، لا تناقض فيه ولا تخالف بوجه من الوجوه، مع كثرة تثنية الأخبار فيه والأوامر والنواهي، وهي جميعها يصدق بعضها بعضًا، ويوافق بعضها بعضًا، وقد خرج بين أظهر الخلق كلهم بهذا الكتاب، ودعا من عارضه من العرب أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين في قدحهم، فعجزوا عن ذلك أشد العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بذلك، وأعلن لأهل الكتاب في جميع أقطار الأرض بأنه من عند الله، وأنه موافق للكتب التي أنزلها الله، وأنهم إن لم يتبعوه وينقادوا لحكمه فقد خالفوا ما في أيديهم من الكتب، وإن كفروا به فقد كفروا بمن قبله من الرسل، فلم يردوا قوله من البر والحلم والعلم والعقل الكامل والرأي السديد [...][١] والإحسان إليهم بكل طريق والصدق والعدل وترك الظلم والاتصاف بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والتنزه عن كل خلق دني.

فلم يزل يدعو إلى الله وإلى دينه صابرًا محتسبًا قد وطَّن نفسه لمعاداة الخلق والصبر على أذاهم، ودعوته تنمو شيئًا [فشيئًا][٢]؛ يتبعه الواحد بعد الواحد مع شدة الحال والأذى عليهم، ولكنه استجابة عن بصيرة لا تعارضها المعارضات، ولم يزل الله يظهر على يديه من الخوارق والآيات التي استبصر بها المبصرون، وقامت بها الحجة على المعاندين، وربه يحفظه ويحفظ دينه وينصره في جميع المواطن حتى ظهر على قومه، ثم على جزيرة العرب، ثم على الأمم المجاورة للجزيرة من اليهود والنصارى والمجوس، وتم ذلك على يد خلفائه الراشدين، وأكمل الله له الدين، وأتم عليه النعمة، وتبعه جميع المعادين له طوعًا واختيارًا؛ لا كرهًا واضطرارًا، إلا القليل منهم، وصار أتباعه هم العلماء الربانيين، والعقلاء الكاملين، والصلحاء الأبرار، والصفوة الأخيار.

---

(١) غير واضح في الأصل.

(٢) زدناها لاستقامة السياق.

فهذه الجملة الكبيرة معلومة متواترة مقطوع بها لا تقبل الشك مع [أنه] لا يمكن إفرادها في هذه الرسالة، ومن ارتاب فيها فليرجع إلى محالها [...][1] وما كان عليها [...][2] بين الناس من حالة النبي مع أوليائه وأعدائه.

فهل يتصور والحالة هذه أن يكون من هذا شأنه وهذه حالته؛ أن يكون كذابًا مدعيًا للرسالة، أم كل من له أدنى مُسْكَة من عقل[3] ونوع إنصاف أن يجزم جزما لا يمتري فيه ولا يشك أنه رسول الله حقا، وأن دينه حق، وأن من خالفه فهو مبطل بشهادة الله عليه، بل وشهادة أنفسهم عليهم حين راجعوا الحق وتركوا باطلهم، وشهادة ما عُرف من العوائد وسنن الكون، وشهادة ما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تكون إلا في أفضل الخلق وأزكاهم، وشهادة ما جاء به من الدين واستقامته واعتداله وحسنه؟! فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، ومما يؤيد هذا أن الله وصف كتابه ورسوله في غير موضع من كتابه أنه مصدق للكتب السابقة وللمرسلين؛ أي موافق لها، ومصدق لما أخبرت به.

ومن المعلوم أنه يصدع بهذا بين طوائف أهل الكتاب، ويراد به دعوتهم إلى قبوله كما يراد به دعوة غيرهم، ولو كان الأمر بخلاف ذلك لكان هذا من الدواعي إلى رد دعوته، ولو كان يعلم ﷺ ذلك لم يعلن بهذه الطريقة التي ترد دعوته، بل لو كان الأمر كذلك لأطبق أهل الكتاب ومن اتصل بهم على تكذيبه والقدح به بسبب هذا النبأ العظيم، ولكن المنصف منهم صدقه واعترف بصحة ما جاء به - وهم جمهورهم - والقليل منهم عاند، ولم يأت على ذلك بشبهة؛ فضلًا عن الحجة والبرهان، وهذا إذا تدبره المنصف تبين له الأمر، وانجلت له الحقيقة.

ومما يدل على أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ هو الحق الذي لا مِرية[4] فيه أنه بعث في أمة أمية ليس لها من العلم شيء، ولا من الأخلاق الفاضلة ما يزكي النفوس، فتلا

(١) كلمة غير واضحة ولعلها: (من كتب السيرة ليعرف ما لها).

(٢) كلمة غير واضحة ولعلها: (مما يجري).

(٣) أي: له رأي وعقل يرجع إليه.

(٤) أي: شك.

عليهم آيات الله وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، فكانوا هم العلماء الربانيين، والأزكياء الكاملين، فحصل لهم من العلم الديني والدنيوي ما خضعت لهم به الأمم، ودانت لهم الممالك، ومن الأخلاق الفاضلة ما زكت به أخلاقهم، ونمت به أديانهم، وكملت به عقولهم وآراؤهم؛ فعاد بذلك على غيرهم بلسان المقال ولسان الحال والاقتداء بالأفعال.

